تفرز اية نظرية من هذا النوع خاصة بها ، بل أثالت نفسها طوعا وتلقائيا من ممارسة هذا الدور، ورضخت لبعض الفئات والاقلام التي استخدمتها كأداة تعبر فيها عن ثوريتها اللفظية .

رفض تصفية قضية فلسطين لا يعني في ذاته موقفا ثوريا ، وكموقف ثوري لا يعطي اية ميزة خاصة لاي فريق . ثم ان هذا الرفض ليس موقفا استراتيجيا، وبينه وبين موقف استراتيجي صحيح هوة واسعة. الخطوة الاولى في تحويل هذا الموقف الى موقف ثوري استراتيجي صحيح هي تحليل الاوضاع القائمة تحليلا موضوعيا صحيحا ينطبق عليها كما هي . والخطوة الثانية هي ربط هذا التحليل ربطا صحيحا بمقاصدنا الثورية . المهم ليس رفض التصفية ، ليس القول بالتحرير ، فهذا أمر يلتقي فيه العرب كلهم تقريبا . ولكن المهم الكيفية التي تسعى بها في ممارسة الرفض ، الكيفية التي تحاول بها انجاز التحرير . فالقول بالرفض والتحرير ليس نظرية ، وليس تخطيطا استراتيجيا او تكتيكيا ، وهو كي يكون فعالا فينتقل من موقف عام ، من شعار ، الى فعل ثوري فعال ، يجب ان يحدد التخطيط الاستراتيجي الذي يعتمده في تأكيد ذاته والوصول الى غايته . فماذا يعني هذا الفكر ؟ ماذا يعني فكر من هذا النوع ؟ انه يعني ان العقلية التي تكمن وراءه لا تزال عقلية غيبية ، ان لم نقل بدوية . ان الاطارات النفسية والفكرية التي تعمل فيها لا تزال اطارات تقليدية، اي اطارات «دينية» رغم ما تحلته من « علمية » ، وان الثوريين الذين يعبرون عنه لا يزالون عقليا ونفسيا جزءا من الوجود العربي التقليدي رغم ثوريتهم اللفظية . ذلك لان عقلية هذا الوجود ، العقلية الغيبية التي تسوده ، هي عقلية لا تعترف بالتاريخ حقيقة مستقلة ، لا تعي ان هناك في التاريخ والاجتماع أوضاعا واتجاهات موضوعية تخرج عن ارادة الانسان ونواياه ، عن مطامحه وأهوائه ، عن أشواقه وتمنياته ، وان الانسان الذي يريد التأثر فيها يجب ان يدرك منطقها او وجودها المستقل ، فيعمل معهما وبهما . فهي عقلية تعتمد فقط القوى الذاتية وترجع اليها في كل شيء ، وترى فيها مقاييس النجاح والفشل في كل شيء . فعن طريق الطقوس ، وعن طريق قربنا من الله وجدانيا وأخلاقيا او بعدنا عنه ، تتحدد أعمالنا ، ويتحدد مجرى الاوضاع التي تحيط بنا ، او أثرنا في هذه الاوضاع . فان نشلنا ، فذلك يعود الى كون علاقتنا الذاتية بالله والقوى الغيبية لم تبلغ الدرجة الوجدانية الاخلاقية الصحيحة ، او لان الله ، الكلي القدرة والحكمة ، تدخل لحكمة غير مرئية ، ضد ارادتنا ، او لان القوى الغيبية الاخرى من ملائكة وقديسين ، او من ناحية اخرى من ابالسة وشياطين ، حالت دون ما نبغيه . كل شيء يعود نهائيا الى قوى ذاتية او الى قوى غيبية خارجة عن التاريخ وأوضاعه الموضوعية .

ان الفكر المقاوم يهمل بهذا الشكل الفادح خصوصية الاوضاع الموضوعية التي تحيط بالمقاومة، الخصوصية التي تدل بشكل عفوي تقريبا ودون اي جهد فكري كبير ، وبشكل فقأ العين بوضوحها ، على ان هذه الاوضاع تختلف جذريا وكليا عن الاوضاع التي رافقت الحروب الشعبية الاخرى التي يريد هذا الفكر المقاوم من المقاومة ان تحذو حذوها، فتقوم بدور مماثل لدورها ، فلا يستنتج ما يترتب على ذلك من تناقض في جميع مجالاتها السياسية والعسكرية والاستراتيجية والتكتيكية والنظرية والتنظيرية . ويعني ذلك شيئا واحدا : ان الاطارات الايديولوجية اللاواعية التي تسود هذا الفكر هي جزء من الوجود العربي التقليدي ، اي انها اطارات غير صالحة لقيادة المقاومة ، غير صالحة حتى للعمل في النصف الثاني من القرن العشرين . ان الاطارات العقلية والنفسية التي تحدد نهائيا سلوكنا هي اساسا اطارات قبلية لاواعية تترسخ في ذاتنا دون وعي ، وهي عادة تثبت جذورها في ذاتنا أثناء نشأتنا الاولى ، ايام الطفولة وفي السنين الاولى من دور المراهقة . الاجيال العربية الحالية نشأت كلها بدرجات متفاوتة في مجتمع تتسرب اليه العقلية والغيبية عميقا في جميع مجالاته وأبعاده ، وبذلك بلورت نشأتها ونموها الذاتي في اطاراتها النفسية والعقلية الخاصة . التحرر من هذه الاطارات تحررا جذريا عمل بطيء يحتاج الى تحولات حضارية واجتماعية واقتصادية في بنية المجتمع ، او الى درجة عليا من الوعي والثقافة الفكرية ، وبشكل خاص الى هزات وازمات نفسية عميقة يرافقها وعي فكري عميق . من ناحية اخرى ، فان هذا الفكر المقاوم يعني نتائج وخيمة جدا تترتب عليه . فعندما لا تستطيع المقاومة ان تمارس دور التحرير الذي ارتبطت به، او بالاحرى الذي ربطت وشدت اليه ، فان التفسير لذلك لا يكون بالرجوع الى اوضاع موضوعية تخرج عن ارادة المقاومة وذاتها ، بل الى نقص ذاتي في